

وتقاليد اجتماعية . لقد كان الجاحظ موسوعى المعرفة
دقيق الملاحظة ، سلس الأسلوب ، قوى المعارضة ،
ساخرا متحكما ، ولكن دون مرارة .

واهم من ذلك كان مصورا بالقلم تصويرا فنيا
يجسم افكاره ، تجسيما مشوقا اخذا ويكتفى ان يشير
الى رسالة التربيعة والتدوير التي وصف فيها احمد
بن عبد الوهاب لكى نبين عبقورية الجاحظ في فن
الكاريكاتور القلمى . فضلا عن ذلك ، فانك تلمح
في كتابات الجاحظ حبا للحياة ، ولما بالناس ، وتقديرا
للإنسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الافكار الجيدة
ولكنه اديب اقرب الى الصحفي ، يكتب عن المجتمع
بأسلوب رشيق سلس اخاذ .

وبمقارنة الجاحظ بزمعاصريه ، نستطيع ان ندرك
خصائص أسلوبه القريب من الصحافة ، فابن المقفع ،
مثلا اديب وادبه خلاصة مطالعته وتجاربه وتجارب
اسلافه من البيئة الفارسية القديمة . وهو يسلك في
كتابة ادبه طرقا فنية خالصة ، وهى تعبير مجازى
ممتاز ، كان يتدث على السنة الطير والحيوان ، ويعتمد
على الصور البيانية الرائعة ، ولكنه مستوى اديبى
جبالى يرتبط بالرمز القنى ، ولا يتصل بالواقع العلمى
الاتصالا يسيرا .

التمنجة والدقة في اللغة العربية :

تقدم اننا نعنى بالتمنجة في لغة العرب انها لغة دالة
والتمنجة والتبسيط من اهم سمات لغة الاعلام التي
تعرض الاحداث والافكار منتزعة سماتها كبا لو كانت
وحدات مستقلة وهى تمنجة مقصودة لاسباب خارجية
اهمها التبسيط للجواهر التي تحتاج الى الفاظ تعبير
عن المفاهيم الخلقية والسياسية والاجتماعية
والاقتصادية والافكار العامة التي نشأت في الحياة
الانسانية ونمت وتطورت .

وقد قامت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى
الالفاظ العامة ، والانماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير
عن هذه المعانى العامة في الميدان المادى والمعنوى منذ
عهد بعيد .

فاللغة العربية غنية بالالفاظ الدالة على المعانى
العامة كما انها غنية بالالفاظ الخاصة الدقيقة ولغة
الاعلام تحتاج الى النوعين كليهما في حياتها وتطورها
ولكل منهما موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخصيص الالفاظ بمعانيها الى
سعة الاشتقاق في اللغة العربية على قواعد التي
تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان
الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل
عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ،
فيأتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه
وتصلح المادة الواحدة اساسا كاملا من المعانى المتفرعة
عليها (103) .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة
اللغوية او يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها
في بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار
ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه
والمتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة وليست
الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من
اصلها ارتجالا او محاكاة لصوت او تلفيقا للاجزاء
من مختلف المواد .

ولا يحتمل العتل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء
صيغ المصدر للمرة او للهيئة او للدلالة على
الجمع أو الجنس المجمع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة
بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم
المفعول والصفة اللازمة ، والصفة المرتبطة بالحدث
والزمان (104) .

فالتكلم المميز هنا هو صاحب الشأن في تصريف
المشتقات على حسب اغراضه واحتمالات تفكيره ،
واللغة قد وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق
القواعد التي يتبعها تكوين المفردات ، قبل ان تعرض
لهم الحاجة الى استخدام جميع تلك المفردات او انشاء
الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تاتى للمتكلم بشئ
جديد يحتاج الى لفظ جديد ، ولذلك لم تضع الرابطة
الاشتقاقية بين الالفاظ العربية على اختلاف عصورها

(103) العقاد : « اشتات مجتمعات » - ص : 100 - 101 .

(104) نفس المرجع - ص : 102 .

وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها ،
فكلمة « طائرة » و « سيارة » و « هاتف »
و « اشتراكية » ولدت في هذا العصر ، ومع ذلك فإن
الرابطة الاشتقاقية لم تصنع بينها وبين « طائر »
و « مسير » و « هاتف الجن » و « شرك » مع ان بين
ميلاد تلك الالفاظ وقربياتها هذه مدة تزيد على خمسة
عشر قرنا ، ولا نزاع في ان منهج اللغة العربية في
الاشتقاق قد زودها بفخيرة من المعاني والنماذج لا
يسهل اداؤها في اللغات الاخرى ، في نطق التركيز
الاعلامى الذى هو شيمة الاسلوب العربى الاصيل .

فالالفاظ المنتسبة الى اصل واحد تشترك في قدر من
المعنى وهو معنى المادة الاصيلة العام كالطيران في
طائرة والسير في سيارة وتسير والاشترار في الشرك
والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتداول ان العنصر
الثابت من اللغة ، والمكون من جزء ملدى هو الحروف
الثابتة في مادة الكلمة وجزء معنوى هو معناها العام ،
هو اداة النمذجة ووسيلة الاتصال بين جماهير الامة
العربية :

واذا كانت النمذجة في لغة الاعلام لا تقتصر على
الشخصيات بل تتجاوزها الى الإنكار والمذاهب
والعقائد . بحيث أصبحت هناك افكار ثابتة عن
الشيوعية او الرأسمالية ، ويتلقى الجماهير ثقافتها
ومعلوماتها من خلال هذه النماذج ، فقد كانت العربية
من اوائل اللغات استخداما للنمذجة عن طريقي
استخدام العام مثلا في بعض ما يدل عليه ، لسبب
اجتماعى ما ، يزيل تقادم العهد عموم معناه ، ويقتصر
مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله . ولدينا
في اللغة العربية آلاف من امثلة هذا النوع .

فمن ذلك جميع المفردات التى كانت عامة المدلول
ثم شاع استعمالها في الاسلام في معان خاصة تتعلق
بالعقائد او الشعائر او النظم الدينية : كالصلاة والحج
والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود...
الخ - فالصلاة مثلا معناها في الاصل الدعاء - كما
جاء في القرآن الكريم : « وصل عليهم ان صلاتك
سكن لهم » - ثم شاع استعمالها في الاسلام في العبادة
المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى
اصبحت لا تتصرف عند اطلاقها الى غير هذا المعنى.
والحج معناه في الاصل قصد الشئ والاتجاه اليه ،
ثم شاع استعماله في قصد البيت الحرام ، حتى اصبح

مدلوله الحقيقى مقصورا على هذه الشعيرة ، الخ ..
وتقوم النماذج في اللغة العربية كذلك على اساس
كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازى لسبب اجتماعى
ما يؤدي غالبا الى انقراض معناها الحقيقى وحلول
هذا المعنى المجازى محله . فمن ذلك مثلا في اللغة
العربية كلمات المجتـ والامن والوغى والغفران
والعقيقة ، الخ - فالجد معناه في الاصل امتلاء بطن
الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازا في الامتلاء
بالكرم حتى انقراض معناه الاصلى واصبح حقيقة في هذا
المعنى المجازى ، ولهذا السبب نفسه انتقل معنى
« الامن » من قلة لبن الناقة الى نقص العقل ، وانتقل
معنى « الوغى » من اختلاط الاصوات في الحرب الى
الحرب نفسها ، الخ ..

ان هذه الخاصة في اللغة العربية من نمذجة للمعاني
بهدف التبسيط في شكلها المتسع المتنوع الموجود في
العربية مما يؤكد خصائصها الاعلامية . كمعنى الفاعلية
والمفعولية والمكانية ، وهى ليست انما ثابتة لا
تتغير ، ولكنها ترتبط بالتطور الفكرى والاجتماعى
وحاجته الى نماذج او انماط جديدة ، وقد حدث شئ
من هذا في تاريخ العربية ، فقد استعمل في العصر
العباسى ما سموه بالمصدر الصناعى كالانسانىة
والحيوانية . وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة
لحاجتنا اليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية
والاشتراكية وغيرها .

ان اوزان العربية وابنيها هى احدى مقوماتها
وخصائصها المميزة ، وهى كما تقدم تقوم بوظيفة
اعلامية معرفية وبوظيفة فنية ، فالكلمات التى تستعمل
للغرضين كثيرة في اللغة العربية وليست بهذه الكثرة
في اللغات الاوربية .

العربية لغة الاعلام :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات ان اللغة العربية
تتضمن في ابنيها وتراكيبها والفاظها خصائص اعلامية:
فهى لغة معرفية ، تقوم على الوظيفية الهادفة وتتضمن
اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة والسلاسة
والتبسيط ، فهى لغة عملية تعبر عن الحياة والحركة
والعمل والاتجاز ، لانها لغة قوم يتلازم عندهم القول
والتفكير والعمل في حياتهم : فقول العيسى تفكيره ،

روح الامة العربية وتجاربها المتراكمة المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لمتطلبات الحياة ، ومقتضيات الحضارة ، وتدلل كذلك على الذهن العربى المتمتع بالنقاء والصفاء ، والتفتح والانطلاق ، وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية ، وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وظهرت في مفرداتها وتعابيرها الخصائص الاعلامية النابعة من هذه المعطيات نفسها فنجد في اقوال العرب : اللفظ المعبر ، المسؤول عن وظيفته في الجملة والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها ووظيفتها في تأدية الفكرة ، وايضاح المعلومات .

وتفكيره بدء لعمله . ولذلك اعتبره الشاعر الجاهلى زهير احد شطرى الانسان اذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف مؤاده » .

تلك بعض السمات فى اللغة العربية ، هى اللغة المؤثرة حقا .

ومن الطريف ان هذه اللغة الحية هى نفس اللغة التى اقتربت من الادب عند الجاحظ ، بأسلوبها السهل المتمتع القوى المعبر ، المتدفق فى حيوية وايقاع .

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية - وهى وعاء العقل العربى - تتميز بخصائص اعلامية نشأت فيها من

